شرح كشف الشبهات

الدرس الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد..

فمعنا اليوم الدرس الثاني من دروس شرح كشف الشبهات، وكنا في المجلس السابق تحدثنا عن معنى كشف الشبهات، وذكرنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر رحمه الله في هذا الكتاب معنى التوحيد وأنه دين الرسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى به إلى عباده، وذكر أن أولهم نوح عليه السلام؛ أرسله الله تبارك وتعالى إلى قومه، وآخرهم الرسول محمد ﷺ، وذكر أن من دعوتهم دعوة التوحيد، معنى دعوة التوحيد التي جاء الرسل بها، وذكر أن المشركين- مشركي قريش والمشركين من الأقوام الأُخرى- غالبهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، هذا كانوا يقرون به، ولم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام، وقاتلهم النبي ﷺ كي يدخلوا في التوحيد الذي بعث اللهُ به الرسل وهو توحيد العبادة، فكان كفار قريش يقرون بتوحيد الربوبية، إذن التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ودعا كفار قريش إليه هو توحيد العبادة، أما توحيد الربوبية؛ فكان حاصلاً عندهم ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، وما كان يدخلهم في الإسلام إلا أن يقروا بتوحيد العبادة لأن توحيد الربوبية كان مقرَّراً عندهم، ولكنهم كانوا يعبدون الأصنام، وعبادتهم للأصنام كانت لأجل أن تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ولكي تشفع لهم، لا لأنهم يعتقدون أنها هي الخالقة الرازقة المدبرة؛ ولكن لأنهم كانوا يريدونها أن تكون وسائط لهم وتشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى.

هذا كله بيَّنه لنا المؤلف رحمه الله فذكر توحيد العبادة وبيّن ما هو، وذكر أن توحيد الربوبية هذا كان كفار قريش يقرون به ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، وذكر سبب عبادتهم للأصنام وأنها تقربهم إلى الله زلفى وأنهم يتخذونها شفعاء عند الله سبحانه وتعالى.

والمؤلف بذكر هذه المقدمة يريد أن يصل إلى أمر مهم جداً وفيه رد على الشبهات الآتية في هذا الكتاب؛ وهو أنّ معنى التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ ودعت إليه الرسل هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، وأنّ صرف العبادة لغير الله شرك، وأنّ توحيد الربوبية ليس هو المعنى المقصود بكلمة "لا إله إلا الله"؛ إنما المقصود بذلك أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، لا شك أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كلها من التوحيد المطلوب؛ لكن أعظم ما حصل فيه النزاع بين الرسل وبين المشركين هو توحيد العبادة؛ فقال رحمه الله:

(وهذا التوحيدُ هو معنى قولك: لا إله إلا الله)

أي أن التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ هو معنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله سبحانه وتعالى؛ فكفار قريش الذين جاءهم النبي ﷺ كانوا يعلمون معنى هذه الكلمة؛ ولذلك لما قال لهم النبي ﷺ "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ قالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[1]، ما كانوا يعارضون وينازعون في أن الله هو الخالق الرازق المدبر، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[2] ليس عندهم إشكال في هذا؛ كان الإشكال والنزاع بينهم وبين الرسول ﷺ في توحيد العبادة؛ أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويتقربون إليها كي تقربهم إلى الله زلفى، لذلك كما ذكرنا في الدرس

١- [ص: ٥]

٢- [لقمان: ٢٥]

الماضي أن أبا سفيان لما سأله هرقل عن دعوة النبي ﷺ وإلى ما يدعوهم إليه وما الذي يأمرهم به، فقال له: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم؛ هكذا قال له، وفسرها هرقل لما أعادها عليه؛ قال: سألتك عما يأمركم به؛ فقلتَ: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نترك عبادة الأوثان؛ هكذا قال له في الحديث وهو موجود في "الصحيح"[1]؛ فهذا يبيّن بوضوح- وغيره أيضاً؛ أحاديث وأدلة تبيّن- هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

قال: **(فَإِنَّ الإله عِنْدَهُمْ هُوَ الذي يُقْصَدُ لأجْلِ هذه الأُمورِ)**

الإله يعني المألوه المعبود، الإله عندهم هو الذي يُقصَد للعبادة، للخضوع، للتذلل له.

قال: **(سواءٌ كان مَلَكاً أو نبياً أو وليّاً أو شجرة أو قبراً أو جنيًّا)**

هذا كله هو المعنى المقصود عند كفار الجاهلية؛ الإله عندهم هذا الذي يُقصَد به؛ أنه الذي يُتَعبّد إليه؛ يُتعبد إليه ويُتقرب إليه بأنواع القرب أيّاً كان نوعه؛ من الملائكة أو البشر أو الحجر أو الشجر.

قال: **(لم يُريدوا أَنَّ الإله هو الخالقُ الرَّازِقُ المُدَبِّر)**

هكذا كان كفار قريش، واذا عرفت الدين الذي كان عليه كفار قريش، وعرفت ما هي دعوة النبي ﷺ التي دعاهم إليها؛ حينئذٍ تكون عرفت كيف تميز بين التوحيد والشرك، وعرفت ما هو التوحيد المقصود هنا، وكيف تحافظ عليه وتحرص عليه، وكيف تبتعد عن نواقضه التي تنقضه.

١- أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

لكن إذا لم تعرف ما هو التوحيد أو فهمته فهماً خاطئاً؛ فيمكن أن تنقضه وأنت لا تدري؛ وهذا الذي حصل من بعض الناس.

قال: **(فَإِنَّهُمْ يَعْلمونَ أَنَّ ذلكَ للهِ وَحْدَهُ؛ كما قَدَّمْتُ لكَ)**

يعني: الخلق والرزق والتدبير.

قال: **(وإِنَّما يَعْنونَ بالإله: ما يعني المشركونَ في زماننا بلفظ: "السيّد")**

وهذا متعارف عليه عندهم؛ أنهم يطلقون السيد على الإله؛ يعني: المعبود.

قال: **(فأتاهم النبي ﷺ)** يعني أتى كفار قريش **(يَدْعوهُمْ إلى كَلِمَةِ التَّوْحيدِ؛ وهي: لا إله إلا الله)**

إذاً كفار قريش كانوا يعرفون أنه الخالق الرازق المدبر، وكانوا يوقنون بهذا؛ ما عندهم فيه إشكال؛ لكن إشكالهم كان في توحيد الألوهية، وكان عندهم شرك في هذا؛ لذلك جاءهم النبي ﷺ ودعاهم ودعا الناس إلى لا إله إلا الله.

قال: **(والمراد من هذه الكلمة: معناها؛ لا مُجَرَّدَ لَفْظِها)**

وهذا أمرٌ مهم جداً، يجب أن نركز عليه: أنّ مجرد التلفظ بالكلمة لا ينفعك عند الله سبحانه وتعالى؛ الذي ينفعك هو أن تفهم معناها وأن تعمل بمقتضاها؛ هذا الذي ينفعك عند الله سبحانه وتعالى؛ يعني: تقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وأنت لا تدري ما معنى "لا إله إلا الله"، وما معنى "محمد رسول الله"؛ هذا لا ينفعك عند الله، والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ قال- كما في "صحيح مسلم"-: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة"[1] لاحِظ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله"؛

١- أخرجه مسلم (٢٦) عن عثمان رضي الله عنه.

اذاً لابد من العلم بمعناها ومعرفة ذلك والإيمان به؛ حتى تنفعك هذه اللفظة، أما مجرد أن تتلفظ وأنت لا تدري ما معناها؛ فهذه لا تنفعك.

قال: **(والكُفَّارُ الجُهّالُ يعلمونَ أنَّ مُرادَ النبي ﷺ بهذه الكلمة: هو إفرادُ اللهِ تعالى بالتَّعَلُّقِ بهِ، والكفر بما يُعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لمّا قال لهم: "قولوا لا إله إلا الله"؛ قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}**[1]).

إذاً هذا الأمر كان مُسَلَّماً ومعروفاً عندهم؛ فهم أصحاب لغة وأصحاب سليقة، يفهمون جيداً وليسوا كالذين أتوا من بعدهم؛ اختلطت عليهم اللغات، فما عادوا يستطيعون الفهم بشكل سليم، ولكن أولئك- يعني: أبا جهل وأبا لهب وأبا طالب ومن تابعهم من المشركين- لمّا خاطبهم النبي ﷺ بهذه الكلمة؛ فهموا معناها فهماً صحيحاً؛ لذلك رفضوا وعاندوا وقاتلوا وحاربوا على مخالفة النبي ﷺ، قال: "قولوا لا إله إلا الله"؛ قالوا { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا }؛ إذاً هم يفهمون ويعرفون معنى هذه الكلمة؛ لكنهم رفضوا الإيمان بها، ومن أراد الله سبحانه وتعالى له الإيمان؛ آمن.

قال: **(فإذا عرفتَ أنّ جُهّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفونَ ذلكِ)**

جُهّال الكفار يعرفون معنى كلمة: "لا إله إلا الله" وأنه لا معبود بحقٍ إلا الله.

قال: **(فالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعي الإسلامَ، وهو لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسيرِ هذه الكلمةِ ما عَرَفَهُ جُهّالُ الكُفَّارِ)**

١- [ص: ٥]

تصور أنّ هذا يدعي الإسلام لكنه لا يعرف معنى كلمة لا إله إلا الله، هذا المعنى الذي عرفه أبو جهل وأبو لهب ومن شابههم، فهذا الشخص الذي يدعي الإسلام؛ أبو جهل أعلم منه بهذه الكلمة.

قال: **(بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التَّلَفُّظُ بِحُروفِها مِنْ غَيْرِ اعتقادِ القَلْبِ لشيءٍ من المعاني)**

يعني: مجرد أن يتلفظ بالكلمة؛ يظن نفسه أنه قد أتى بالإسلام وانتهى الأمر.

قال: **(والحاذِقُ منهم)** يعني الذكي **(يظن أنّ معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يُدبِّرُ الأمرَ إلا الله)**

هذا الذي عنده شيء من الذكاء ومن المعرفة، يدعي أنه يفهم معناها؛ يقول: معنى "لا إله إلا الله": لا خالق إلا الله ولا مدبر إلا الله؛ يعني يردها إلى معنى الربوبية الذي كان كفار قريش أصلاً يؤمنون به، إذاً لماذا جاءهم النبي ﷺ بـ "لا إله إلا الله"؟ ولماذا قاتلهم عليها إذا كانوا هم مؤمنين بهذه أصلاً؟ ثم يأتي ويدعوهم إلى شيء هم يؤمنون به، ما فائدة هذه الدعوة؟

ولا تستغرب هذا الذي ذكره المؤلف؛ فهو الذي كان سائداً عند الكثير ممن يدعي العلم من المتكلمين، المتكلمون من المتأخرين غالبهم معنى كلمة لا إله إلا الله عندهم على معنى الربوبية؛ لذلك تجد علماء المتكلمين لا يرفعون رأساً بالتوحيد، وتجد الأوثان تُعبد أمامهم؛ يُذبح لها ويُتضرع لها وتُدعى من دون الله سبحانه وتعالى، وهم لا يرفعون رأساً بذلك؛ بل يحاربون مَن يدعو الى التوحيد؛ وهذا كان في عهد المؤلف رحمه الله بكثرة، وهو في عهدنا كثير أيضاً؛ موجود ممن يزعمون العلم ويعبدون الأوثان أيضاً، هم إما يعبدون، أو يُقِرّونَ من يعبد الأوثان؛ لأنهم لا يفهمون معنى كلمة "لا إله إلا الله" على وجهها الصحيح؛ يفهمونها على ماذا؟ على معنى الربوبية؛ فيقول لك: لا خالق إلا الله،

لا مدبر إلا الله؛ خلاص أنت إذا آمنت بأنه لا خالق إلا الله؛ انتهى الأمر؛ هذا حتى أبو جهل أفقه منه في هذه المسألة؛ أفهم منه لمعناها؛ حتى أبو جهل.

قال: **(فلا خَيْرَ في رجلٍ جُهّال الكفار أعلم منه بمعنى "لا إله إلا الله")**

جهال الكفار؛ سماهم جُهالاً مع أنهم يعلمون معنى كلمة لا إله إلا الله؛ لكنهم جُهّال؛ لأن علمهم هذا لم ينفعهم، فالذي عنده علم وعلمه لا ينفعه؛ في الحقيقة جَاهل؛ لأنّ العلم الذي لا ينفع؛ ليس بعلم.

قال: **(إذا عرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة قلبٍ)**

أي: عرفت معنى "لا إله إلا الله"، وعرفت حقيقة ما ذكرتُه لك واستيقنتَ من ذلك.

قال: **(وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[1])**

فأنت عرفت الآن معنى التوحيد ومعنى الشرك، فليس الشرك فقط أن تَدَّعي بأنه يوجد خالقٌ مع الله ومدبرٌ مع الله وإلى آخره، هذا شرك نعم؛ لكنه شركٌ في الربوبية، حتى كفار قريش ما كانوا يزعمون هذا؛ لكن الشرك الأعظم والذي كان النزاع عليه بين الأنبياء وبين أقوامهم: هو أن تدعو من دون الله ندّاً وهو خلقك، أن تعبد غير الله تبارك وتعالى؛ وهذا الشرك الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}؛ لكن ليس خاصاً بهذا؛ كل الشرك داخل في هذه الآية؛ شرك الربوبية، شرك الأسماء والصفات، شرك في الألوهية؛ كله داخل في هذا.

١- [النساء: ٤٨]

قال: (وعرفتَ دينَ اللهِ الذي أَرْسَلَ به الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ)

يعني إذا عرفتَ ما ذكرت لك، وعرفت معنى الشرك، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل مِن أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه.

قال: (وعَرَفْتَ ما أَصْبَحَ غالِبُ النَّاسِ فيه مِنَ الجَهْلِ بهذا؛ أفادكَ فائدتين)

إذا عرفت كل هذا استفدت فائدتين؛ ما هما؟

قال: (الأولى: الفرحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ)

ما هو فضل الله ورحمته؟ هو أنْ مَنَّ الله عليك بأن عرفت معنى التوحيد، وعرفت معنى الشرك، وعرفت دعوة الأنبياء؛ ما هي؟ هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى؛ وهي نعمة هداية البيان؛ أنْ بيَّن الله سبحانه وتعالى لك فتَبيَّن لك الأمر، الفرح بفضل الله ورحمته، فأنت تفرح بهذا؛ لأن الله سبحانه وتعالى رحمك وبيَّن لك، وإذا رزقك الاتّباع؛ فهي هداية التوفيق؛ فيُتِمّ الله سبحانه وتعالى نعمته عليك بهداية البيان وهداية التوفيق وتفرح بهذا؛ تفرح أنْ مَنّ الله عليك بذلك.

قال: (كما قال الله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[1])

والفرح بمثل هذا نعمة، الفرح بنعمة الله سبحانه وتعالى مطلوب كما في هذه الآية.

قال: (وأفادَكَ أيضاً: الخوفَ العظيم؛ فإنك إذا عرفتَ أنّ الإنسانَ يَكْفُرُ بكلمةٍ يُخْرِجُها مِنْ لِسانِهِ)

١- [يونس: ٥٨]

يعني معرفتك بما ذُكر سابقاً يفيدك الخوف العظيم- يعني: أنك تخاف خوفاً عظيماً- من ماذا؟ من أن تقع في الكفر بكلمةٍ تخرج من لسانك؛ فالإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، فأنت تخاف من هذا؛ أن تخرج من لسانك كلمة تكفر بها .

قال: **(وقد يقولُها وهو جاهِلٌ؛ فلا يُعذَرُ بالجَهْلِ)**

هل يعني ذلك أنّ المؤلف لا يَعذُر بالجهل؟

قد تقدم وتكلمنا نحن في درس شرح السنة للبربهاري- أظنه الدرس الثاني أو الثالث-، وذكرنا التفصيل هناك في مسألة العذر بالجهل وما الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنه، وذكرنا أن الناس اليوم بين الإفراط والتفريط في هذه المسألة، والاعتدال في الأمر: هو أن تسلك مذهب السلف رضي الله عنهم في ذلك؛ وهم كانوا يُقسّمون الجهل الى قسمين:

جهلٌ يُعذَر به صاحبه وجهلٌ لا يُعذَر به، ولعل المؤلف هنا يريد بذلك النوع الثاني وهو الجهل الذي لا يعذر به صاحبه، وهذا الجهل: هو الذي معه تقصيرٌ في التعلم؛ فالشخص اذا كان منه تقصيرٌ في التعلم ويجهل بسبب تقصيره هذا؛ لا يعذر بجهله، أما إذا لم يكن معه تقصير في التعلم، بحيث أنه غير متمكن من العلم؛ عندئذٍ يعذر بجهله، والتفصيل الذين ذكرنا لكم أنه موجود في الدرس الثاني أو الثالث من "شرح السنة" للبربهاري؛ تقدم معكم في الدروس الماضية.

لكن على كل حال: لا شك أن الكفر قريبٌ جداً من الإنسان؛ فلذلك ينبغي أن يخشى على نفسه منه ويراقب نفسه دائماً؛ يتعلم ويستغفر ويعود إلى الله سبحانه وتعالى، ويجتنب الكفر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال: **(وقدْ يقولُها وهو يظنُّ أنَّها تُقَرِّبُهُ إلى الله)** أي: وقد يقول الكلمة وهو يظن أنها تقربه الى الله؛ هذا الذي عليه الآن كثير من المشركين؛ يتقربون إلى الأوثان وهم يظنون أنها تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي كان عليه كفار قريش؛ يتقربون إلى الأصنام ويعبدونها ويظنون أنها ستقربهم إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: **(كما كانَ ظَنَّ المُشْركونَ؛ خُصوصاً إنْ ألْهَمَكَ اللهُ ما قَصَّ عنْ قومِ موسى؛ معَ صلاحِهِمْ وعلمهمْ أنَّهُمْ أُتوه؛ قائلين: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[1])**

الحادثة التي حصلت مع قوم موسى؛ يذكر المؤلف أنه مع صلاحهم وعلمهم؛ إلا أنهم قالوا لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}؛ فهؤلاء طلبوا شركاً، مع أنهم كانوا مع موسى وكانوا من المسلمين؛ لكنهم طلبوا هذا الشرك؛ فانظر إلى قرب الشرك منك؛ فالأمر خطير جداً، وتعلمك التوحيد وتعلمك الشرك ومعرفته؛ كي تجتنبه كما كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن الفتن خشية أن يقع فيها؛ فأنت تعرف الشر وتسأل عنه كي تحذر وتبتعد عنه، فتتعلم التوحيد وتتعلم الشرك؛ تتعلم التوحيد لتعمل به وتتمسك به، وتتعلم الشرك كي تجتنبه وتكون حذراً منه.

قال: **(فحينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ على ما يُخَلِّصُكَ مِنْ هذا وأَمْثالِهِ)**

ما الذي يخلصك؟ يخلصك: العلم والعمل والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: **(واعْلَمْ أنَّ اللهَ سبحانه مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً بهذا التَّوْحيدِ؛ إلا جَعَلَ لَهُ أَعْداءً؛ كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}[2])**

١- [الأعراف: ١٣٨]

٢- [الأنعام: ١١٢]

هذا الأمر واضح؛ ما يأتي نبي- يرسل الله سبحانه وتعالى نبياً- إلا ويكون له أعداء، وليس فقط الأنبياء؛ بل الأنبياء وأتباع الأنبياء؛ حتى العلماء الربانيون كذلك.

قال أهل العلم: وذلك لأنه عندما يكون هناك أعداء؛ تقوى الدعوة وتقوى الحجة ويزداد البيان، عندما يكون هناك أعداء تكون لهم شبهات، والشبهات تأتي عليها ردود؛ فيتضح الحق أكثر وأكثر وينتشر، وتصبح هناك حوادث يهتم الناس بها وبمعرفتها؛ فينتشر الحق أكثر وأكثر؛ لذلك يكون لكل نبيٍ عدو من الإنس والجن وكذلك أتباع الأنبياء، وأنتم ترون عندما تحصل فتنة جديدة بين عالم من علماء السنة وأهل الضلال ويتكلمون؛ ينتشر الأمر ويزيد وضوحاً، وتنتشر الحجج والبراهين، ويسطع الحق زيادة عما يكون عليه؛ وهذه سنة الله في خلقه.

قال: **(وقد يكونُ لأعْداءِ التَّوْحيدِ علومٌ كثيرةٌ، وكتبٌ، وحُجَجٌ)**

وهذا لا شك صحيح، ربما يكون عدو التوحيد- سواءً كان عدو النبي أو عدو الولي؛ العالم الذي يدعو الى التوحيد- ربما يكون عالماً، وتكون عنده حجج، هي في الظاهر حُججٌ؛ لكنها في الحقيقة شبهات؛ لكن هذه الشبهات تحتاج إلى رد، تحتاج الى علم.

قال: **(كما قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ }[1])**

إذاً كان عندهم علم، وفرحوا به.

قال: **(إذا عرفت ذلكَ، وعرفتَ أَنَّ الطَّريقَ إلى اللهِ لا بُدَّ لهُ من أعداءٍ قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلمٍ وحُجَجٍ؛ فالواجبُ عليكَ أن تَتَعَلَّمَ مِنْ دينِ الله ما يَصيرُ لكَ سِلاحاً)**

١- [غافر: ٨٣]

إذاً أنت إذا كنت داعية الى التوحيد لابد لك من سلاح، تقاوم به الشرك وأهل الشرك؛ لأن أهل الشرك فيهم علماء وعندهم شبهات، وأنت بحاجة إلى رد هذه الشبهات؛ كيف تردها؟ تردها بالعلم وليس مجرد حميّة كما نرى اليوم من كثير من الشباب؛ عندهم حميّة واندفاع؛ لكنهم لا يستطيعون أن يردوا شبهة؛ لأنهم لا علم عندهم؛ العلم هو السلاح، هذا السلاح الذي كان يتحلَّى به الأنبياء، ويتحلى به أتباع الأنبياء، كان الأنبياء يقاتلون بالسيف ويقاتلون بالحجة والبرهان؛ فكانوا يحاربون المنافقين بالحجج والأدلة، وكانوا يحاربون الكفار الأصليين المعاندين بالسيوف؛ وهكذا العلماء الربانيون.

قال: **(تُقاتِلُ به هؤلاء الشياطين)**

هذا السلاح تقاتل به هؤلاء الشياطين.

قال: **(الذين قال إمامهم ومُقدَّمهم لربك عز وجل: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[1])**

إمامهم ابليس

قال: **(ولكنْ إذا أَقْبَلْتَ على اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِهِ وَبَيِّناتِهِ؛ فَلا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ؛ {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[2])**

١- [الأعراف: ١٦-١٧]

٢- [النساء: ٧٦]

يعني لا تفتر ولا تضعف ولا تخف من هؤلاء، هؤلاء كيدهم ضعيف وحججهم واهية، فقط أنت تحتاج إلى أن تكون مُجالِساً لأهل العلم؛ حتى تستفيد منهم وتعرف كيف ترد على شبهاتهم.

قال: **(والعامّيُّ مِنَ المُوَحِّدين يَغْلِبُ ألفاً من عُلماءِ هؤلاءِ المشركين)**

لأنهم ما عندهم علم حقيقي قوي، والعامّي من الموحدين إذا كان يجالس أهل العلم ويسمع العلم؛ بإمكانه أن يغلب هؤلاء.

قال: **(كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}[1]؛ فَجُنْدُ اللهِ هم الغالِبونَ بالحُجَّةِ واللسانِ؛ كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنانِ)**

فهم يغلبون المنافقين بالحجة والبيان- المنافقين الذين يتكلمون بالشبهات-، ويغلبون الكفار الأصليين المعاندين بالسيف والسنان.

قال: **(وإنَّما الخوفُ على المُوَحِّدِ الذي يَسْلُكُ الطَّريقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ)**

هذا الموحد ما عنده علم، أقل شبهة ترد عليه؛ تذهبه وتضيعه؛ لأنه سلاح عنده يقاوم به، ما عنده دروع تصد هذه الشبهات، ما هو هذا السلاح؟ وما هي هذه الدروع؟ هو العلم؛ هو الذي يصد هذه الشبهات.

قال: **(وقد مَنّ الله علينا بكتابه الذي جعله { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[2])**

١- [الصافات: ١٧٣]

٢- [النحل: ٨٩]

مَنّ الله علينا بماذا؟ بالقرآن والسنة؛ فيهما بحمد الله من رد الشبهات ما يكفي؛ لكنك فقط تحتاج إلى صاحب علم يستطيع أن يستخرج هذه الدرر.

قال: **(فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ؛ إلا وفي القرآن ما يَنْقُضُها ويُبيّنُ بُطْلانَها)**

لأن القرآن جاء بالحق الذي ما بعده إلا الضلال، فأيُّ ضلالٍ؛ تجد رده في القرآن.

قال: **(كما قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}**[1]

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حُجَّةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة، وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلامٍ احتج به المشركون في زماننا علينا)

لما جاء المؤلف بدعوة التوحيد، كان من المشركين من عنده شيء من العلم، فأرادوا إثارة بعض الشبهات على دعوته؛ فيريد الآن أن يبين لك الحجج من القرآن في رد هذه الشبهات.

إذاً هذه كلها مقدمة؛ انتهى منها، وسيبدأ بالرد على شبهات هؤلاء القوم بالسلاح الذي معه؛ وهو سلاح العلم، فسيعطيك المؤلف الآن جواباً عاماً مجملاً تجيب به عن كل شبهة، ثم يعطيك أجوبة مفصلة بعد ذلك.

ونكتفي اليوم بهذا والله أعلم.

١- [الفرقان: ٣٣]